

البَيْتُ الْحَالِي

لِلْقِصَصِ الْأَخْلَاصِ بِرُوحِ جَرَمِ

انتظارا لا شعوريا صرخة أخرى وهو واقف بترقب، ولكن شيئا من ذلك لم يقع. وكان الليل ساكنا كما لو أنه لم يحدث شيء غير عادي، ولم يسمع أي شخص آخر كما يبدو صوتا ما، ذلك لأنه لم يكن هناك من يرى سواء في البيت أو في الطريق.

ولقد أخذ يتساءل عما إذا كان قد تحيل كل هذا؛ فلقد ظل يشتغل جهدا في حرفته إلى ساعة متأخرة، فإن ما ذهب له من نيت كسقاط كان قد أخذ يرداد في سرعة. ثم إنه وقف مترددا، لأنه وإن كان قد سمع صرخة قلبس في ذلك ما يهيمه؛ وليس أنه ما يستطیع عمله؛ ولكن غرازا، كانت تسلي عليه ألا يصفي إلى العقل؛ وربما كان مرد ذلك إلى أنه اكتشف برة فنية في تلك الصرخة، كما نواتها النعت من بين شفتي طفلة.

ثم قال في نفسه فيما يشبه الغضب: «ألم في الأسنان» لا بد أن ذلك الصغير النعس يعاني نوبة من الألم.

إنه صدى خافت لصرخة حزينة تليق من نافذة من نوافذ الطابق الثاني... لا شيء أكثر من هذا؛ ولكن هذا الصدى غي ما كان من خفوة قد أعقب سلسلة عريضة من الوقائع، لقد ألقى أوستن سيرن نفسه - وهو الذي كان من قبل لصا جسورا لا يرعوى - مشتبكا في سلسلة عجيبية من الحوادث لعب فيها دور البوليس السري.

وكان عجيبا حقا أنه لم يكن إلا على ممر خمس دقائق من مسكنه في شلمسي؛ وكان ينقل الخطأ متشدا، نحو منزله عائدا من مشية بعد العشاء، حين أوقفه صوت تلك الصرخة. لقد جاءت، كما أيقن من ناحية (البيت) الذي يقع مباشرة عن يساره، وعلى ذلك فقد نظر مستديرا على عقبيه نظرة فاحصة إلى ذلك البيت.

وكان يكتشف البيت ظلام تام، على أنه لم يكن في ذلك الشارع من أوله إلى آخره إلا قليل من النوافذ التي يرى فيها النور، ولقد انتظر

مفاجئة . . . ولكن لم يكن هناك
أى دليل على الحياة في البيت ؛ لم يكن
هناك من يسرع إلى ذلك التأم بما عسى
أن يريحه ؟

ليدع ذلك كله ، فليس ثمة . هو من
شأه ؛ ثم إنه لم يصر في شيء من التردد
عن الطابق الثاني وأبسمه حكا ، ولكنها
لم تكن ضحكة فكهة . إنها كانت ضحكة
الضيق لأنه لاحظ حينذاك لأول مرة ما غفل
عه ، حتى ذلك الوقت . لقد كان البيت خاليا ،
إذ كانت مصر طائفة من الإعلانات
توفده السفلى

واستدار وهو أن يتبع سيرة إلى بيته
وخطا خطوة في سبيله — وبمرة الثانية
سمع صرخة ! وأقسم هامسا بين أنفاسه : إنه
لم يعد هناك شيء يحتاج ذهنه الآن . لقد كان
طفلا ذلك الذي يصرخ ، غفلا يتألم . وأسوأ
من هذا أن الصرخة قد حست فجأة كما لو
أن يبدأ تقيده قد طبقت على فم الطفل .
وقد حدث كل ذلك في بيت يبدو أنه خال !
لقد قطب جبينه . . . فإن في الأمر شيئا مريباً ،
شيء يتطلب البحث

ولم تنتع بهذه الحقيقة الطمان إلى
قديم سليلته ومكره ، وأخذ سبيله
متشدا إلى الأمام . فإنه يكاد يوقن أن الشخص
الذي كتم صرخة الطفل سوف يسرع إلى

النافذة استوثق مما إذا كان قد سمع شيء
خارج المنزل ؛ فإذا أبصر ذلك الشخص
رجلا في الطريق ينظر إلى أعلى فإنه
يدرك أن شكا قد انبعث ، وعلى ذلك فما
دام أنه قد تذكر فلا بد أن يأخذ حذره
فيستلح قبل أن يباعث

وبدأ كان سيرتن سائرا أخذ يفكر
في استطاع عمله . أما أنه لابد من عمل شيء
فذلك ما انتهى إليه رأيه . فإن وجود
طفل في قبضة عات غليظ القلب مجرم قد
أبقت في نفسه كل مشاعر الفجدة والعطف ،
تلك المشاعر التي لم تمس قط في أغوار
نفسه بحيث لا تبرز إلى السطح ، حتى أيام أن
كان مجرم

تقدم كان أوضح السبل أمامه أن
يذهب إلى مخفر البوليس بقصته . ولكن
لو أنه فعل فإذا عسى أن يفعل البوليس ؟
أكبر القن أنهم سوف يصنفون غير مصدقين ،
ومخافة حين يعلمون أن البيت خال ؛ وإذا
فرض أنه استطاع أن يحتملهم على أن
يصدقوه فإذا في طوقهم أن يعلموا ؟ وأخذ
يكبر ذلك في نفسه

ولم يحصوا على إذن قضائي لن
يستطيعوا أن يتجمعوا المنزل . وإنه ما لم
يقدموا بينة حاسمة فليس من المحتمل أن
يحصوا على هذا الإذن . وكذلك لم ينب عن

شيران ما يمكن أن يفسر به الأمر من أن
أحد الكافين باعتقظه على ذلك المقار كان
يوقع بآفته عقابا يستطيع أن يزعم أنه عقاب
فانوني خفيف

وابتعت فكرة ، تلك أنه إذا لم
يستطيع البوايس أن يثبت هذه المسألة فليس
من يفعل ذلك إلا غر : به تقادر على ذلك .
أجل إن أوسن سيرتن اللص في سلف ،
تقدر على ذلك . به ما لم يكن قد فقد مهارته
يستطيع أن يدخل المنزل دخول اللص . ولقد
يقع من الأدلة هناك على ما يحتمل به البوايس
على عمل . ذلك أنه كما تفكر في تلك
الصرخة . آذا ذكرها ، وازداد يقينا مما
أوجت به إليه بصيرته ، وهو أن شيئا مريما
يمكن في ذلك البيت الخالي

واشتد الجدل بين ضميره . هل يعود
ولسنة واحدة كما كان سيرتن القديم ، ويهده
الصفة يحاول أن يصل إلى دخول ذلك
المنزل ؟ إن هذا العمل لا يخو بالضرورة
من خطر ، ولكن ذلك الخطر إنما يفر به
بالإقدام ، لأنه يحل الخطر من أجل الخطر
في ذاته ، ولأن اقترابه منه ينعش خياله ،
ويريد ذاته في اعطارة . وهو يخشى من
ناحية أخرى أنه إذا صوغ فكرة إلى هذه
المغامرة الجديدة فإنه قد يضي في تنفيذها ،
ومن ثم يتعرض لأن يؤخذ بفعله ، ولو أنه

لا يلتفتي هذا مغما لنفسه . وإنما يعمل في
سبيل طفل معذب

وحسر ضميره المعركة . فإنه منذ ثلاث
سنوات لم يعمل فعل اللص . لم يفعل ذلك منذ
أن أخذ يدوق لذة الفن ومنذ أن أخذ
يطرد نجاحه كنفقاش : ولكنه رأى أن
إتيانه هذا العمل مرة أخرى مغر نه أشد
الإغراء ، وبخاصة إذا كان غرضه هو ذلك
الغرض النبيل . يضاف إلى ذلك أن الظروف
مواتية له بصورة خاصة ، فإنه في دقائق
قليلة يستطيع أن يصل إلى بيته ، فيجمع
هناك ما به من أدوات ما هو بسببه من
عمل ثم يعود إلى البيت الخالي . أما ماذا
عسى أن يحدث بعد ذلك ، فليدع الزمن بيانه ،
على هذا فقد أسرع الخطي حوب مزلة حجة .
لقد تغلب عزمه . إن أوسن سيرتن سوف
يعود لصا متفحجا ليلة واحدة ليس غير

كان أوسن بعد دقائق في سقته التي
يقطنها فوق محل عمله في شارع ستامبوب
بحي شيلسي . وقد خلع في سرعة معطفه
الخفيف ، وأنه ليستفي بأحدث نعمة من نعيمات
الرقص ، وأخذ معطفا قائما من النوع الذي بقي
من النظر . واستبدل قممته بطاقيّة سدنة
السواد ودين في أحديويه مصباحا كهربائيا
صغيرا . ووضع في جيب آخر ما تأخذ
العين من مظهره أنه عبئة قضية للسكر ،

الليل ربع ساعة . وإذا رآه أحد فإن ذلك
يبعث الريبة في الحال

على أنه كان لديه من ناحية أخرى
المدخل الخلق . ولكن كيف يصل إلى
مؤخرة ذلك البيت ؟ ذلك ما لم يكن يعرفه
حتى ذلك الوقت . فمع أن شارع دريكوت
يقع قريبا من منزله لم يكن يألف جمراقية
هذه الحبة كل الألفة . ورأى أنه إذا عمل
في حيرة غير معلومة فإنه بذلك يحطّر قاعدة
من القواعد الأولى لأيام إجرامه حين كان
يألف دائما مكان عمله قبل أن يشرع فيه ،
صادرا في ذلك عما في نفسه من استعداد
للتقش والزخرفة . ولكنه لم يقضى به
الظروف القائمة لا يجد مناصا من ذلك

بلغ شارع دريكوت فوجد مكانا كثيرا
الحركة إذا قارنه بما كان عليه من هدوء حين
مشى فيه من قبل . فلقد رأى سيارة أجرة
ينزل منها ثلاثة أشخاص عند المنزل رقم ٩
وكان يسير نحوه شخصان على الجانب
الأيسر للطريق . وكان يسير مبتعدا عنه عن
يمينه كونهما يتأهل من البوليس . وفي هذه
الظروف لم ينمطف شيرتن إلى شارع
دريكوت بل عبر الشارع ومضى قدما في
الطريق الذي كان يسلكه

وتبين أمها كانت حركة موقفة . فإنه
رأى على خطوات منه ممرا ، بين يتبين وفكر

ولكن تلك العلبة إذا فتحت على صورة
أخرى لا يعرف سرها إلا شيرتن وحده —
وذلك بالضبط على زرخي — تكشف عن
مكان لم يكن يرب أحد ، وضع فيه شيرتن
كل أدواته ومفاتيحه التي يكسر بها الأقفال
والأبواب

ولما تذكر شيرتن تلك المغامرات التي
امطرح فيها تلك العلبة الفضية البريئة
المظهر ، اندفع الدم في عروقه ، وأثمت
عيناه ، وعاد مرة أخرى ذلك النص الذي
لا يرعوى ولا يبالي شيئا ، والذي كان
يقامر حيال القدر مقامرة ناجحة ، والذي
ازدرى قوى القاتلون بأغنية من قلبه ،
وابتسامة على شفاهه ، وومضة في عينيه

وانتخذ شيرتن سبيله ثانية إلى شارع
دريكوت ، وكان يفكر في أحسن وسيلة
بدخل بها المنزل رقم ١١ . ورأى أن خير
وسيلة أن يذهب مباشرة إلى باب التواحية ،
فإذا لم يكن قفله من أقفال «بيل» استطاع
أن يفتحه بأحد مفاتيحه العديدة التي
يحملها في علبته ، ولأنه يوقن أنه ليس
ثمة في ظهره من قضيب أورتاج ، وإلا لما
استطاع أن يدخل منه وكيل صاحب النار
وعملائه . على أن في هذه الوسيلة
عيبا . فليس مما جرت به عادة الناس
أن يدخلوا بيتا غير مسكون بعد منتصف

الأول قد جاءت على هذا الطراز ؛ ولكنه لم يستطع أن يراها ؛ فقد بلغ من حكمة الليل أن عينيه اللتين تمودتا في سنوات من العمل أن تريا في الظلام لم تستطيعا أن تنفذاه فيه

ورأى الحسن حفظه أن هناك ميزابا للمطر يرتفع حتى السقف . ولكم تسلق في الماضي مثل هذا الميزاب . وبعد أن تحسس مبلغ متاعته ، أخذ يتسلقه ؛ ولم يحس في هذا من اليسر ما كان يحسه في الأعوام السالفة ، ولكنه واصل التسلق حتى بلغ موضعا يستطيع منه أن يرى النوافذ

ورأى أنها كانت تحمىها قضبان الحديد ، وليس هذا شأنها فحسب ، بل إنها تبعد عن أن يلمسها . ولما كان الحال كذلك . فإنه لم يجد في التسلق جدوى ، فإذا فرض أن نوافذ الطابق الثانى لا تفتحها القضبان ، فليس في وسعه أن يصل إليها .

وترأى هابطا إلى الأرض ، فإن كان لابد له أن يقطع قضبان الحديد فكما أسرع في البدء بعمله كان ذلك أوفى بالغرض وبدأ عمله وقد اتخذ كل ما وسعه من حيلة ، ولما كانت أدواته منتقاة خير انتقاء فإنه لم يمض وقت طويل حتى أتى على أحد القضبان ، ولم يزل يقطع حتى استطاع أن يدخل الطبخ . وأخذ يتحسس سبيله إلى

أنه من الممكن أن يؤدي إلى ساحة عامة لجميع البيوت في شارع دريكوت . وما لبث أن أنجبه نحو ذلك المر ، فوجد أنه لم يخطئ إذ رأى نفسه بعد ثوان يقبع لدى الباب الخلفى للبيت الحادى عشر ...

وما لبث تلبث ليصنى إلى ما قد يندره من أن أحدا قد بصربه ، حتى أخرج من أحد جيوبه قفازا من انطاط فلبسه ، ثم أخذ يفحص الباب ليرى ما هو صانع ، وفى يديه مصباحه وأدواته . وكان الباب مكينا . ولما تصوره من الداخل خيل إلى شيرتن أنه لم يكن ثمة قفل فحسب ، بل إن الباب تحصنه الأرنجة من أعلى ومن أسفل ، وذلك لا يميل فتمحه مستحيلا وإنما بطيل أمد ذلك العمل .

وكان على جانب الباب شباك تكسبه المنعة قضبان قوية من الحديد . وقطب حاجبيه بمض الشئ ، فإن هذا الشباك الذى كان من الصغر بحيث لا يتفد منه إلا شاب بحيل الجسم ، محصن تحصينا قويا فيه نذير شوم بما عسى أن تكون عليه النوافذ الأخرى . وقد رأى الحال كما توقع فإن تلك البيوت التى بنيت في هذا القرن ، قد حصنت نوافذ طوابقها الأرضية أكثر مما يحصن دكان بائع الجواهر .

وفكر فيما إذا كانت نوافذ الطابق

كلمة تستعمل في هذا الصدد ؛ فقد كان اتفاقا غريبا أن يرحل هؤلاء الذين كانوا في البيت في تلك الدقائق القليلة التي غاب فيها عن المكان ؛ وكان غريبا حقا أن يرى من الصمب عليه أن يصدق أن رحيلهم في هذا الزمن كان اتفاقا ؛ فإما أن يكون قد رآه أحد وهو ينظر إلى أعلى البيت فنبه ذلك من كانوا به ، وإما أن البيت الخالي لم يؤو أحدا قط !

ووقف يتدبر في الأمر في إحدى الحجرات العليا . إنه لا يستطيع أن يصدق على الرغم مما تنبئ به المظاهر أن البيت كان خاليا حين مر به من قبل في هذه المشية ! وإنه ليقن أنه لم يتخيل هاتيك الصرخات ولا هو أخطأ الجهة التي انبعثت منها .

وزم شفتيه في عزم ؛ إن أوضح السبل أمامه أن يتمشى الآثار في الأماكن التي حل بها أشخاص منذ قريب ، ولكنه كي يفعل ذلك لابد له أن يطلق النور من مصباحه وهذا عمل مخفوف بالخطر ، إذ أنه مهما يبلغ من حذره ، فإن من المحتمل أن يرى ذلك النور من خلال النوافذ التي لا تحجبها ستار . وما إن يحدث ذلك حتى يرى المكان محاطا من أقطاره بنفر من البوليس . وأخذ يزن ذلك الخطر ، ولكن تذكره ألم الطفل جعله يسمم فتمز زر الصباح ، وأضاء النور

الباب فإنه لم يجرؤ أن يبعث النور من مصباحه . وامتدى إلى الممر المؤدى إلى واجهة المنزل . وكان جو المنزل قابضا تنبعث منه رائحة عفنة . ولم يكن ثمة من صوت إلا ما تحدة أسنان فأر خلف الوزرة الخشبية للجزء الأسفل من الحذر ووصوة مرة أو مرتين ؛ أما عن آدميين فلم يكن هناك أدنى صوت ...

وأصغى لدى باب أول حجرة بلغها ولكنه لم يسمع شيئا ؛ ولما أصابه الحساسة حول الكرة وأدارها في بطاء حتى استطاع أن يدفع الباب ففتحه ؛ وأصغى ثانية فلم يصل إلى سمع شيء ، وأرسل النور من مصباحه فرجد الحجرة خالية

ووجد بقية حشرات المنزل كهذه الحجرة ؛ فليس في البيت كاه نفس من السقف إلى الأرض ! ورأى أنه مما لا يصدق أن كل شخص قد احتفى في مثل هذه السرعة فهو لم يستغرق إلا عشرين دقيقة على الأكثر ليصل إلى شقته وليجمع أدوانه وليعود ثانية إلى هذا البيت الخالي . ولكن من كانوا فيه قد اختلفوا في هذه الدقائق . على أنه يسأل نفسه لم لم تكن فكرة اختفائهم تمثل هذه السرعة مما لا يصدق ؟ إن الأمر لا يتطلب أكثر من دقائق للتسلل في هدوء من البيت ... كلا إن الغرابة هي أنسب

مطاردها فالتقطها وحملها وخرج بها من الحجرة
واتبع بنظره الأقدام وهي تخرج من
الحجرة . ولم تكن القصة خارج الحجرة
سهلة القراءة . فإن الآثار قد تناثرت هنا
وهناك من الحجرة الثانية في الواجهة إلى
السلم ومن السلم إلى تلك الحجرة ، كما لو أن
الرجل قد صعد السلم أكثر من مرة ليدخل
الحجرة التي تقع عن يمين شيرتن ؛ كذلك
قد أدت أقدامه هو إلى طمس تلك الأقدام
بعض الشيء

واعتزم أن يفتش الحجرة الأخرى في
الواجهة ، واتخذ الحيلة كي لا تخلط قدميه
بآثار ذلك الشخص . ثم دخل للمرة الثانية
الحجرة التي تقع في الجهة اليسرى للمنزل .
وهنا كشفت أرض الحجرة عن قصة أخرى ؛
تلك هي أن الطفلة قد حملت إلى تلك الحجرة
ووضعت ممددة على الأرض إلى جانب الجدار
الداخلي . ولا يمكن أن يعرف مقدار ما قضته
هناك من زمن على تلك الحالة . ولكنه
يعتقد أنها تخلصت من قيودها ونهضت على
قدميها ، وجرت من تلك الحجرة إلى
الحجرة المجاورة

ولم اضطرت إلى أن تفعل ذلك ؟ لم لم
تندفع صوب نافذة الحجرة التي أُنيت فيها ؟
لقد استطاع أن يجد إجابة ممكنة على سؤاله
هذا حين فحص الأرض بجوار النافذة .

الخافت دائرة صغيرة من أرض الحجرة
وأخذ وظهره إلى النافذة ينقل النور في
بطء من بقعة إلى بقعة ؛ وكان يغطي أرض
الحجرة تراب كثيف ، بلغ من كثافته أن
قدميه كانتا تتركان فيه أثرا واضحا . ووقف
نجاهة كأنه تصلب ، فلقد استطاع أن يرى
آثار أقدام إلى جانب ما تركت قدماه من أثر ،
ورأى أنها واضحة وضوح آثاره ؛ ولم يعد
بعد ذلك في حاجة إلى برهان آخر ...

ولما ألقى نور الصباح الكهربائي في
دقة على هذه الآثار تبين أن قصة يمكن أن
تقرأ فيها ؛ فلقد دخل الحجرة غيره شخصان
آخران أحدهما طفل ؛ وكانت آثار قدمي
الشخص الآخر عريضة كبيرة ، ولا يمكن
إلا أن يكون رجلا ضخما ذلك الذي تركت
قدماه هذه الآثار ...

ولما فحص شيرتن الآثار فحسا دقيقا
أحس بشيء من الدهشة ، فع أن آثار قدمي
الطفل كانت صغيرة فإن إحداها كانت بعيدة
عن الأخرى ؛ ثم إنهما توقفتا على بعد ياردة
من النافذة ولم تعودا صوب الباب

على أن دهشته ما لبثت أن زابت ،
وذلك حين استبان له تفسير ذلك فقد جرت
الطفلة إلى داخل الحجرة يتبعها مطاردها
(لأنه يعتمد أن هذه آثار قدمي بنت) وقبل
أن تصل إلى هدفها وهو الشباك ، أدركها

إن الرجل كان يقف إلى جوار النافذة من حين إلى حين . ولملح كان يطل من النافذة على الشارع في الوقت الذي استطاعت الطفلة فيه أن تفلت من قيودها ، ولملح رآها حين أوشكت أن تخرج من الحجرة فصاح مغضبا فانطلقت منها صرخة خوف واندفعت خارجة من الحجرة . ثم إنه جرى في أثرها وأمسك بها في الحجرة الأخرى ، فما كادت تصرخ ثانية حتى أطبق بيده على فمها ثم حملها بين يديه وكان يرى هذا التفسير ممكنا ، حتى لقد أخذ يتساءل عما إذا كان عسبا أن يعلم جديدا من الأمر إذا فحص الحجرات الأخرى . إنه إذا سلم بأن ما استنتجه صحيح فلا يزال أمامه كثير مما يتطلب أن يعلمه فمن هي الطفلة مثلا ؟ ولم توجد في بيت خال أسيرة كما ينبغي الحال ؟ ولماذا أسرت ؟ ولماذا جئ بها إلى المنزل الحادى عشر في شارع دريكوت بدلا من أن تؤخذ إلى أى مكان آخر ؟ وأين يقع المكان الآخر ؟

ومع أنه فحص كل شبر من الغرفة لم يجد مجدهنا ما يكشف عنه . وعلى ذلك فقد اتجه إلى الطابق الأول ، حيث توجد حجرات في مؤخرته كما يوجد في واجهته . ولم يكن في حجرات الوجهة ما عسى أن يدلّه على شيء ، فإنه كما تبين ، لم يدخلها أحد سواه . كذلك لم يدخل الحجرة الخلفية اليمنى

أحد . ولكنه لم يكذب بفتح الأخرى حتى تبين فيها آثار أقدام . وتمقب تلك الآثار ، فإذا بها تمتد من الباب حتى النافذة في غير التواء ، تلك النافذة التي عزت عن أن يبلغها شيرتن حين تسلق الميزاب . وحين أطلق نور مصباحه رأى على أرض الحجرة ما بعث في جسمه هزة الدهشة ، فقد كان يتناثر على الأرض بقايا محترقة من أعواد الثقاب وبقايا من أعقاب الدخان . وكان ما أشعل من تلك الدخان سبع عشرة دخينة ؛ ومن الناحية الأخرى كان عدد أعواد الثقاب اثنين وعشرين ونجمهم قليلا . لماذا يجدا اثنين وعشرين عودا لسبع عشرة دخينة ؟ لو عكست هذه الأرقام لأمكن أن يتضح تفسير ذلك . إن عددا من الدخان في بعض الحالات يشعل بثقاب واحد ، أو إن دخينة تشمل من بقية دخينة أخرى على التعاقب . وإنه كما تدل الحال إما أن تكون قد أشعلت بعض الأعواد لتبين الوقت أو أن الرجل كان يدخن في بضع شديد بحيث انطفاقت دخينة أو دختان ولزم الأمر أن تشعلا من جديد . فإذا كان الفرض الثانى هو الصحيح ، أفدنا من ذلك دليلا على أن الرجل قد وقف مدة طويلة إلى جوار النافذة ، فإن استنفاد سبع عشرة دخينة لا يتم إلا في زمن غير قصير وكان السؤال الثانى الذى وجهه شيرتن

خارج الدار مبكراً » وكان سير إدوارد وذلك اللص السابق قد تعارفا منذ استطاع شيرتن أن يساعد سكتلند يارد في مسألة سنيك بينللى . وإنه لم يكن أن يقال في كثير من الحق إن صداقة وثيقة قد أخذت تنشأ بين الرجلين ، وإنه على الرغم مما اتسم به شيرتن في سابق حياته ، كان في شخصيته من الظرف والمرح الذى يسرى منه إلى من حوله مالا يقوى معها على الإعراض عنه إلا الفلياون

ولم يضع شيرتن وقتاً فاتجه إلى غرضه من الزيارة « ثلاً : » أعتقد أنك بالضرورة تحيط علماً بتفاصيل اختفاء بنت مورتن ميرى ديو ؟ »

وأجاب سير إدوارد فى جناء « نعم لقد اختفت بامبلا ميرى ديو من حجرة نومها الليلة الماضية بعد أن أويت إلى مضجعها مباشرة ، ثم إنها قتدت بعد ذلك . وعلى الرغم من البحث فى تلك الحيرة ، ومما فعله رجالنا من استفسارات كاملة عند الناس فلم يعرف بعد أين توجد البنت ، وبقيت المسألة كما يتبين سرا عميقاً . إنه من المؤكد أنها لم تخرج من المنزل من الباب الرئيسى ، لا ولا هربت من باب المطبخ . ويستحيل عليها أن تكون قد خرجت من النافذة ، وعلى ذلك فليس يعلم أحد كيف هربت »

إلى نفسه ، لماذا يقف الرجل زمناً طويلاً ربما بلغ ساعتين إلى جوار نافذة خلفية ؟ إذا كان حاله أنه كان يحس القلق خوفاً من زيارة مباغتة فمن الواضح أنه كان أولى به أن يقف إلى جوار نافذة أمامية . أكان فى موقف حراسة أم كان فى موقف انتظار ليس غير ؟

وتوالت إلى ذهنه الاحتمالات والتعليقات والاستنتاجات . وتدقت فى ذهنه اليقظ كل تفاصيل هذه المؤامرة المحكمة . ونزل فى خطوات سريعة من هذه الحجرة الخلفية إلى المطبخ ، وهناك فُحص الباب المؤدى إلى الفناء ، وندت عن شفتيه كلمة إعجاب بنجاحه . لقد كان كل ما استنبط صحيحاً ؟ ولقد وقف الآن على كثير من التفاصيل . وما تبقى بعد ذلك ، إذا استثنى أمراً واحداً ، سوف يكشف فى الصباح . أما هذا الأمر الذى يستثنيه فقد كان مع الأسف أهم ما فى الموضوع كله ، ألا وهو مكان الطفلة فى أى جهة أخذها الرجل ؟

دهش سير إدوارد ولاوبى وكيل البوليس إذ رأى أوستن شيرتن يزوره فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى وحيا سير إدوارد زائرة شيرتن بقوله « طاب صباحك يا شيرتن ، ها أنت ذا

ولن يدهشني أنك سوف ترفضها بادي
الرأى . ومهما يكن من الأمر فها هي ذى :
هل تمدنى برجل أو رجلين من البوليس
لأغراض تعقيبية ؟ »

ولم يجب سير إدوارد لتوه ، وإنما أخذ
يفكر تفكيراً عميقاً ، وإنه ليطلق المكتب
أمامه بقلم الرصاص فى غير وعى . ثم إنه
رفع رأسه ونظر صوب شيرتن قائلاً « إن
هذا حقاً مما لم تسبق به سابقة ، وهو مطلب
ليس يسهل إجابته إذ يأتى هكذا من
شخص مثلك ليس ثمة من علاقة رسمية بينه
وبين سكتلند يارد . ألا تستطيع أن تكون
أوضح قليلاً ، فترى على وجه التحديد ماذا
تريد أن يفعل هؤلاء الرجال ؟ »

وأجاب شيرتن قائلاً « أريد أن تضعهم
بحيث يراقبون بيت ميرى ديوى فى طريق
بور تسموث ، وأن تأمرهم أن يتعقبوا كل
شخص يخرج من الباب الخلفى للبيت ؛
ويجب أن يلازم رجالك هؤلاء الخارجين كل
الملازمة ، وأن يخبروك بالتليفون إذا انجبه
شخص من هؤلاء إلى بيت ما ، وعلى رجالك
بعد ذلك أن يراقبوا هذا البيت ، وأن
يلاموك ما يرتابون فيه هناك من حركة .
هذا كل ما أريد »

ونظر سير إدوارد متعجباً ثم قال
« وكيف يؤدى ذلك إلى العثور على بامبلا

وأشمل شيرتن دخينة ثم قال « ينبغي
ألا تستعمل لفظه الحرب ياسير إدوارد .
إن بامبلا قد اختطففت »

وحملق وكيل البوليس فى وجه محدته
فى دهشة قائلاً « لك الله ! ماذا تعرف عن
هذه المسألة ؟ »

وقال شيرتن « قليلاً » .. ثم إنه
سكت لحظات ، وأخذ ينظر مفكراً إلى
صاحبه ؛ وبدأ عليه أخيراً أنه جمع رأيه
فأخذ يتكلم فى بطاء

« أجل ياسير إدوارد ... إني أظن أنه
بمساعدتك إياى سوف يكون لدى من
الفرصة ما يمكننى من العثور على بامبلا
ميرى ديوى ؛ ولكن يجب أن أطلب إليك
أن تثق بى فترة . وسوف أكون معك أميناً .
إن فى ذهنى خطة للعثور على البنت ،
ولكنها قائمة على تفكير مضحك يبلغ من
السخف أن أخشى حتى التلبيح إليه كيلا
يسخر ذهرك المدرب من المشروع كله ،
ولكنى لا أستطيع النضى وحدى فى الأمر
فلا بد لى من المعونة » وأوماً وكيل
البوليس برأسه ، ثم سأل محدته فى هدوء
قائلاً « لست بالأحق يا شيرتن فماذا تريد منى
أن أصنع ؟ »

وضحك شيرتن ضحكة خفيفة وقال « إذن
فإنى أحذرك أن طلبتى مما لم تسبق به سابقة

ميرى ديو ؟ »

فقال شيرتن « ستعلم ياسير إدوارد ذلك في حينه ، أخشى أن أراى مضطرا إلى أن أسألك أن تنوبى »

فأجاب . وكيل البوليس بعد صمت قليل « إنى أميل إلى الاعتماد على كلمك يا شيرتن ولكى أصدقك بىنى أن أقول إننا عجزنا عن أن نصل إلى أدنى شى يمكن أن يؤدى بنا إلى معرفة مكان البنت . ولم أنس بعد مهارتك فيما وحيث به مسألة بىنلى ، وعلى ذلك فإذا كنت قد أعددت الأمر لتكشف شيئاها ما يتصل بمسألة يردى بو هذه فلا بأس . ثم هركت فيه واستأنف كلامه قائلا « سوف آخذ على عاتق تبعة إمدادك بما تطلب من معونة »

وبدا الامتنان على وجه شيرتن ، ثم جهر فى حماسة قائلا « إن هذا جميل منك ياسير إدوارد ، إنى آمل أن أريك قبل وقت طويل أن ثقتك بى لها ما يبررها »

وبعد دقائق حملت سيارة أجرة شيرتن ومعه ثلاثة رجال يرتدون ملابس عامة الناس . ولما بلنوا طريق بورتسموث ، وجه شيرتن الرجال إلى الجهة الخلفية للنزل ، ولما أشار إلى مدخل الزبائن إلى منزل ميرى ديو عاد يؤكد لهم جميعا ما لدقة مراقبتهم من أهمية عظمى . ولما تفرق الرجال ووقف كل منهم

فى المكان الذى احتير له بحيث لا يرى ، غادر شيرتن القناء وعاد إلى طريق بورتسموث حيث توجه إلى المنزل رقم ٥ ودق بيسده الباب ، ولما فتحة الخادم سأله شيرتن عن ميرى ديو

فنظر إليه الرجل نظرة ارتياح وقال « أخشى أن مستر ميرى ديو سوف لا يستطيع لقاءك اليوم ياسيدى فإنه ... »

فقاطعه شيرتن فى خشونة قائلا « أعلم ذلك ، إنى قادم من سكتلند يارد ؛ أخبر مستر ميرى ديو أن البوايس الصرى والنجاتين يريد أن يتحدث إليه »

وتغير موقف الخادم فى الحال . ثم تقدم شيرتن إلى غرفة الاستقبال . وما كاد يخرج الخادم منها حتى دخل مستر ميرى ديو ، وإله ليكاد يمدو مبرعا ، وكان وجهه شاحبا مكدودا بسبب ما عاناه من قلق طول ليله .

وسأل شيرتن فى الحمرة « ألدبك أخبارا ؟ » وتردد شيرتن ولكن تردده لم يلبث إلا لحظة . فإنه لم يكن يستطيع وقد تقدم إلى هذا الحد أن يتراجع الآن فقال « أعتمد أن لدى أبناء طيبة لك ياسيدى ؛ إن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أننا اهتدينا إلى مكان البنت ، وإننا الليلة بعد الحادية عشرة سوف نباغت بهجومنا ذلك البيت حيث

نأمل أننا سوف ننفذها »

ونعم الرجل قئلا « شكر الله » ثم نظر في لفظة إلى شيرتن وسأله « ولكن لماذا لا ننفذونها الآن أيها الرجل ؟ فكر فيما عسى أن يصيب يامبلا حتى ذلك الوقت » وأوشك في حرقه أن يتعلق بيدي شيرتن وأجابه شيرتن في هدوء : « إن لدينا من الأسباب مالا نهاجم معه ذلك البيت قبل هذا الموعد . وأظن أنك تستطيع أن تطمئن أنه لن يمس يامبلا أذى مدة الانتظار » ونهض شيرتن قائلاً « وأظن كذلك أنك تستطيع أن تتحمل هذه الأنباء السارة إلى قومك يامستر ميرى ديو ؟ فإني واثق أن ذلك سيريح نفوسهم ؛ وبهذه المناسبة نبتهم ألا يخافوا إذا رأوا رجالا يراقب واجهة المنزل ، فقد وضعنا رجلا هناك للحديقة فحسب » ومد ميرى ديو يدا مرتعشة وهو يقول : « شكرا لك يامستر والنجان »

وقال شيرتن وهو يمد يده ليصافح الرجل « وبهذه المناسبة أيضا أقول إنى لو كنت مكانك لبقيت دائما إلى جوار التليفون لا أبعد عنه أبدا »

وعاد شيرتن من طريق بورتسموث إلى محل عمله حيث قضى يوما من أيام حياته . إن حركاته جميعا قد قصد بها إلى خير ما يرجى . ولكن إذا ثبت خطأ

استدلاله ، وإذا كان في تحمسه لإعادة يامبلا إلى أبيها قد سمح لحياله أن يطغى على عقله ، فإنه يكون قد أنى في هذا اليوم عملا من أخطأ ما يحمل طيلة حياته ، وذلك أنه بث أملا كاذبا في قلب والد حائر

وظل يقطع الساعات جيئة وذهابا في حجرة عمله الصغيرة ؛ وبدت له تلك الساعات كأنها أيام . وكما دق جرس التليفون اندفع صوب جهازه

دقت الساعة الثانية عشرة ، ثم الواحدة ثم الثانية ، ولم يلق شيئا . وأخيرا كلمه أحد الرجال الثلاثة فأباه أن خادم ميرى ديو ، غادرت طريق بورتسموث لتزور بيتا في كامبرول . وسأله شيرتن هل يقع ذلك البيت في حي مزدحم بالسكان ؟ فأجابه الرجل أنه مزدحم جدا . واستنتج شيرتن أن بنت الخادم تقطن هناك ولا أكثر من ذلك .

ونفس شيرتن عن ضيقه بكلمات حين وضع سماعة التليفون ، فليست هذه الأنباء ما أمل أن يسمعه .

ومضت ساعة أخرى . ودق جرس التليفون مرات أخرى ولكنها كانت لأمرور تتصل بعمله . ودقت الساعة الثالثة . وبعد ذلك بعشر دقائق اتصل به رجل آخر من الثلاثة .

لقد غادرت امرأة طويلة القامة عادية

المهندام

وصاح ميرى ديو مندهشا « إيفا ! »
وابتسم شيرتن ابتسامة الرضا ، وتمتم
لنفسه قائلا « إنها أنباء سارة » ، وهو
يخطو متثابرا نحو مقعد على خطوات

« إن إيفا هي زوجته المطلقة » ذلك
ما راح يحدث به شيرتن سير إدوارد حين
أخذ يتقص عليه كل ما حدث . ومضى
يقول « ولقد قرأت تفاصيل طلاقها قبل
أن أزورك هذا الصباح »

وأجاب قائلا وفي صوته شئ من الامتعاض
« ولكن كيف أمكنك أن تستنتج تفسير
هذا السر الغامض ؟ كيف عرفت كل هذا
في حين أننا هنا لم نعرف شيئا ؟ »

وقص عليه شيرتن ما حدث له في الليلة
الماضية ، وراح يقول « هكذا كما ترى ياسير
إدوارد أنه من الواضح أنها اختطفت وأن
الذى اختطفها هو ذلك الرجل الذى وقف
نحو ساعتين إلى النافذة الخلفية للبيت الخالى
في شارع دريكوت . وكان ينتظر — أو
هكذا كان اعتقادي — إشارة من شريك
له في بيت ميرى ديو . وحين تلقى هذه
الإشارة أشار هو بدوره كذلك إلى رجل
ثان كان قد وضع لدى الباب الخلفى للبيت
الخالى . ودخل هذا الرجل الثانى فناء بيت

المهندام بيت ميرى ديو بعد الساعة الثانية
مباشرة . ولقد تبمها جريا على مالهيه من
تعليمات فرآها تركب فى سيارة عامة حتى
فكتوريا ومن هناك ركبت فى قطار إلى
إيسوم ؛ واتجهت ماشية حتى بلغت جوسقا
أنيقا يقع غير بعيد خارج إيسوم ، وقد فتحت
لها الباب سيدة حسنة المهندام

فأمره شيرتن قائلا : « إبقى هناك
لا تترجح . تعاب أى شخص يخرج ومنه بنت
صغيرة » ثم ألقى شيرتن السماعة وخرج يعدو
من حجرة عمله

وكان قد أعد سيارته من قبل ووضعها
فريما منه . وأسرع فركبها وانطلق مسرعا
إلى طريق بورتسموث . ولم تمض إلا دقائق
حتى أخدمه ميرى ديو ، وأسرع صوب إيسوم
وظل ميرى ديو يستفهمه ؛ ولكن
شيرتن لم يشأ أن يحببه . وكان كل ما قاله
له : « إنها إما أن تكون أنباء سارة
أو لا تكون »

وبلغ إيسوم فى وقت قصير جدا .
وذهب إلى الجوسق ، وكان رجل
سكتلنديارد على مقربة منه ، فأشار إليهما
بعلامة مؤداها : « لم يتغير شئ »

وسار شيرتن إلى الباب الصغير يتبعه
ميرى ديو ، ودق شيرتن الباب ، ففتح من
غير إبطاء . ووقف فى مدخله امرأة حسنة

أتجه بتفكيري إلى أزوجة ميرى ديولهايد في هذه السأله فإنها كانت دخائن عبد الله ، وكانت أعواد الثقاب من الشمع ، ولا يقرن المرء على أى حال دخائن عبد الله ولا أعواد الشمع يحترق في اختطاف الأطفال . وأخذ يبدو لي الاختطاف أقرب إلى أن يكون انتقاما شخصيا ، وكذلك أوحى إلى انتظار ذلك الشخص إشارة في الجهة الخلفية ، أن الطفل أو الطفلة اختطفت من أحد البيوت في طريق بورسموث

« وما إن بلغت منزلى وهذه الأفكار في رأسى حتى نظرت في الدليل الحلى ، وحين وقعت على اسم ميرى ديو رأيت أنه يقيم في منزل يقع خلف البيت الخالى مباشرة في شارع دريكوت وتذكرت بمض الشئ قضية الطلاق بينه وبين زوجته ، ونظرت في الصباح في تفاصيل القضية فرأيت أنه صاحب الحق في حضانة الطفلة

« واستطعت أن أتخيل شعور أم تحرم من طفلها ، وأدركت في رأسى ما إذا كانت هذه الأم قد طلبت إلى أحد أصدقائها أن يدبر هذا الأمر ؟ وإن هذا التفسير ليتفق مع وجود ذلك الشريك الذى أشار من بيت ميرى ديو

« ذلك ما جعلنى أحاول محاولتى ؛ لقد أخبرت ميرى ديو أن البوليس ربما عثر

ميرى ديو ومعه سلم بطول ويقصر وقد مده إلى نافذة پامبلا ، وصعد وربما أنه استطاع بذلك أن يلفت نظر البنت فصعدت إلى النافذة وفتحتها ، وعند ذلك أمسك بها أو استعمل مخدرا ، ورفعها إلى عاتقه ، وأغلق النافذة ، ونزل . ثم إنه أوى إلى البيت الخالى ومعه البنت والسلم حيث قابله الرجل الأول « ولقد وضع السلم في أحد مخازن البيت الخالى ولا يزال هناك . أما البنت فقد غلت وقيدت وحملت إلى غرفة في أعلى المنزل وفي تلك الأثناء خرج الرجل الثانى إلى مكان ما حيث أعدت سيارة . وفي موعد محدد بعد بضع ساعات أتجه الرجل الثانى بالسيارة إلى شارع دريكوت وتلبث قليلا حتى رأى الشارع خاليا فوقف عند رقم ١١ . وما أن فعل ذلك حتى برز الرجل الأول ومعه پامبلا وركبا السيارة وانطلقا بعيدا عن المكان « وما كادت تخطر على بالى فكرة الاختطاف حتى أصبح كل ما بعدها يسيرا ، فإن بقايا الدخان قد دلتنى على انتظار الرجل لدى النافذة لينتقى الإشارة . وزاد يقينى ما وضع في الباب الخلفى من زيت كي يفتح في يسر وكبلا يحدث أى صرير . كما أن بقايا الدخان من النوع الآخر قد دلتنى على وجود رجل ثان

« وكانت دراستى بقايا الدخان أول ما جعلنى

ذلك لأنى وقد كنت مجرماً سنوات طويلاً ،
أصبحت أحد من اليسير على أن أستنبط
الجوانب الإجرامية فى كل مسألة »

واقتنع سير إدوارد بهذا التمليل ثم
قال « مهما يكن السبب يا شيرتن فخذ هذه
الكلمة منى ، ذلك أنك ، إذا أردت ،
تستطيع أن تكون بوليساً سرى بارعاً »
وابتسم سير إدوارد وهو يمد إليه يده قائلاً :
وعلى أى حال فقد أسديت اليوم صنيعة كريمة
لمد من الناس »

« ذر القناع »

على الطفلة الليلة ، وطابت إليه أن يذيع
هذا النبأ السار فى قومه ، مؤملاً أن يعمد
الشريك إلى إخطار الفاعل الأصلي ، وهذا
ما حدث كما تعلم . وطلبت إليه أن يظل
قائماً لدى التليفون حتى لا يتخذ التليفون
أداة للصلة بينهما »

فأجابه سير إدوارد قائلاً وهو ينظر
إليه نظرة تهكم « يالك من لص مقتحم
أصبح بوليساً سرى ! »

فاحمر وجه شيرتن وتتم بقوله « أكاد
أسمى نفسى بوليساً سرى » . ثم توقف
وفكر فى عمق وعاد يقول : « ربما كان

قطاً فطبع — الحل



كانت النافذة مغلقة ، فقد فتحها رجل البوليس ، وقد
استوثق من أن الزوج والطبيب لم يمتسا شيئاً فى الحجرة غير
التبائن والجثة ، ولذلك أيقن أن قصة الشيخ مخترعة . وقد
أطلق الزوج الرصاص على زوجته متمعداً ؛ إذ لو كان أطلقه على
الشيخ الواقف أمام النافذة كما زعم لكسرت إحدى الرصاصات
على الأقل زجاج النافذة وقد اخترقت الجثة !